نحو هوية عربية شاملة، بديلة للهوية الفلسطينية

أحمد أشقر*

تهدف مشاركتي القول أن نشأة الهوية الفلسطينية "المستقلة" هي نـشأة مأزومة أصلا. لأنها لم تنشأ خلال عملية تجمع قبائل واثنيات مختلفة فـي إطار سياسي اجتماعي فكري وهوية موحدة، كما حدث في أوروبـا فـي بداية ومنتصف القرن التاسع عشر. بل نتيجة عمليـة تفكيـك اسـتعماري خارجي بـدأ مـع ضـعف الإمبراطوريـة العثمانيـة التـي "ورثـت" الإمبراطوريات العربية الإسلامية المختلفة في منتـصف القـرن التاسـع عشر.. وكانت أكبر الضربات التي تلقتها وحدة الهويات العربية، التي كان هاجسها الانفصال عن العثمانية وإقامة كيان سياسي عربـي، أو عربـي-إسلامي (هوية موحدة)، قبل أن تستقر على الإقليمية، هي نتـائج هزيمـة العثمانية في الحرب العالمية الأولى وتنفيذ مشروع سايكس- بيكـو عـام 1916 الذي قسم الوطن العربي إلى كيانات متناحرة تقوم بتأدية وظـائف متعددة للاستعمار الخارجي.

كانت المحاولة الناصرية في بداية المنتصف الثاني للقرن العـشرين، هي المحاولة الأكثر جدية من أجل تخطي واقع التجزئة العربيـة وإقامـة الوحدة العربية، التي هي هوية عربية موحـدة. إلا أن ضـعف الكيانـات العربية وشدة العدوان الخارجي أفشل هذه المحاولة.

كان لفلسطين حصة الأسد في المشاريع الاستعمارية، وكذلك مـشاريع التحرر والوحدة العربية، لأنها كانت ولا تزال هدفا استعماريا، يهدف إلى تفكيك بلاد الشام من جهة، ومنع تواصل جغرافي بين بلاد الشام ومـصر، من جهة أخرى.

في مقابل العدوان الخارجي على حلـم- مـشروع الوحـدة العربيـة وهويتها الموحدة، نشأت أيضا قوى عربية في كل الأقطار العربية تتعاطى مع مشاريع التجزئة والتفكيك.. وإن أخذنا الحالة الفلسطينية ممـثلا لهـذا الواقع، لاكتشفنا أن نشوء م. ت. ف لم يكن بعيدا عن التعاطي الإيجابي مع هذه المشاريع. فلقد أفصحت م. ت. ف علانية عن تساوقها معها من خلال الشعار الذي طرحته بعد هزيمتها في لبنـان علـى إثـر عـدوان 1982

---

* باحث في مقارنة الأديان

وخلافها مع سوريا بعد العدوان المـذكور، ألا وهـو: القـرار الـوطني الفلسطيني المستقل.. وبعد ذلك اتفاقية أوسلو وما تلاها من اتفاقيات مختلفة مع الكيان الصهيوني.. فاتفاقية أوسلو وما تلاها أقـصى عـرب الأرض المحتلة 48 نهائيا وعلانية من المشروع الوطني الفلسطيني.. وكذلك عـدم اعتبار حقّ العودة غير قابلا للتصرف، والتنازل عنه بعـد ذلـك، يهـدد بإقصاء اللاجئين من المشروع الوطني الفلسطيني الرسمي.. وما تلاه مـن فصل بين غزة والضفة الغربية، يندرج هو الآخر في تفكيـك المـشروع الوطني الفلسطيني.

مشاركتي سوف تتحدث عن هذه الصيرورة وتدنيها وتذكر مخاطرهـا القاتلة- بالمقابل تطرح فكرة الوحدة/ الهوية العربية من خلال تجاوز مـا هو تفكيكي كالإقليمي والديني والطائفي.. واستنهاض الثقافات التي سـبقت نشوء الإسلام، كالكنعانية والفينيقية والبابلية والفرعونية، الثقافـات التـي تشترك بالعديد من العناصر والموتيفات، التي تـشترك بـصياغة هويـة موحدة، إضافة لقدرة هذه الهوية من خلال ثقافاتها الأصيلة علـى تفكيـك المشروع الاستعماري اليهوصهيوني.